المداواة والتغذية بالعقاقير
النباتية في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لابي مروان عبد الملك بن زهر

الدكتور عبد الكريم اليافي

يشتمل هذا البحث على التعريف بمؤلف الكتاب ، ثم عرض بعض المعارف التي تضمنتها الصيدلة العربية الاسلامية ، ولا سيما في المغرب ، متمثلة بالكتب المدونة وبأصحابها ، ثم جلاء الاعتبارات الطبية الصيدلانية والمنهج العلمي في كتاب التيسير .

التعريف بمؤلف الكتاب

مؤلف « التيسير في المداواة والتدبير » ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء (٤٦٤ / ١٠٧٢ - ٥٥٧ / ١١٦٢) من بيت زهر أحد بيوتات الطب المشهورة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية عامة وفي تاريخ الاندلس خاصة .

جد هذه الاسرة هو الفقيه محمد بن مروان بن زهر الايادى الاشبيلي من أصل عربي وقد برز في الفقه والحديث . ولما كان الحديث والفقه يدفعان الى خدمة الناس ورعاية مصالحهم اتجه ابنه ابو مروان عبد الملك الاول الى الاهتمام بالطب والمداواة . كانت البلاد الاسلامية يسهل فيها تنقل العلماء خاصة على الرغم من انقسامها السياسي المتأخر لان سكانها كانوا دائماً يقدسون العلم والعلماء ويعتبرون كلا من التعلم والتعليم في جميع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الميادين ولا سيما مايهم مصالح المجتمع فريضة يجب أن ينهدوا لها وينهضوا بأعبائها . وكانت ينابيع المعارف والعلوم اذ ذاك في الشرق فرحل عبد الملك الى الشرق ودخل القيروان ومصر وتطبب هناك زمانا كما يقول الرواة أي تعاطى علم الطب وعاناه ، ثم رجع الى الاندلس وقصد مدينة دانية وأقام بها ، واشتهر بالتقدم في هذه الصناعة . ولما ذاعت شهرته انتقل الى مدينة اشبيلية المزدهرة وأقام بها ، ثم أخذ ابنه أبو العلاء زهر عن أبيه الصناعة واطلع على دقائقها وكان ألمعياً .

ابنه أبو مروان عبد الملك هو أشهر أطباء هذا البيت العلمي وهو مؤلف كتاب التيسير واسمه كاسم جده الاول الذي كان أول من مارس الطب . بل هو أشهر أطباء الاندلس . وقد روى مترجموه أنه لم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب . وله حكايات كثيرة في تأتّيه لمعرفة الامراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الاطباء إلى مثل ذلك . عاش في نهاية دولة المرابطين ، « ونال من جهتهم من النعم والأموال شيئاً كثيراً » ولكن هذه الدولة انقرضت في زمنه وقامت مكانها دولة الموحدين . وقد قرّبه ملكها الاول عبد المؤمن وميّزه على كثير من أبناء عصره احتفاءً بعلمه واستناداً إلى مهارته العلمية .

كان عبد الملك إلى جانب صناعته الطبية المبرزة ذا معرفة عميقة بخصائص النبات وإكساب بعضه خصائص بعض إكساباً يقرّبه من المدرسة الزراعية السوفياتية الحديثة التي تزعمها متشورين . يشهد على ذلك القصة الطريفة التي يرويها ابن أبي اصيبعة وهي أن الامير عبد المؤمن « احتاج الى شرب دواء مسهل وكان يكره شرب الادوية المسهلة ، فتلطف له ابن زهر في ذلك وأتى الى كرمة في بستانه فجعل الماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي يسقيها به ماءً قد أكسبه قوة أدوية مسهله بنقعها فيه أو بغليانها معه . ولما شربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التي أرادها وطلع فيها العنبُ وله تلك القوة حمى الخليفة ثم أتاه بعنقود منها وأشار عليه أن يأكل منه وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر . فلما أكل منه وهو ينظر إليه قال له : يكفيك يا أمير المؤمنين فإنك قد أكلت عشر حبات من العنب وهي تخدمك عشرة مجالس . فاستخبره عن ذلك وعرّفه به ... » فانتفع عبد المؤمن وتزايدت منزلته عنده . وربما كان في القصة نصيب من المبالغة ، ولكنها تدل دلالة واضحة على معرفة أبي مروان العميقة لخصائص العقاقير النباتية وإمكان تطويرها في نطاق مناسب وتأثير بعضها في بعض .

وقد ذكر مؤلف التيسير ولعه الشديد بذلك في كتابه هذا حتى إن هذا الولع بلغ حد المرض إذ قال (ص ٣٢٠) : « وأما أنا فانّ في نفسي مرضاً من أمراض النفوس من حب أعمال الصيدلانيين وتجربة الأدوية والتلطف في سلب بعض قوى الادوية وتركيبها في غيره وتمييز الجواهر وتفصيلها ومحاولة ذلك باليد . ومازلت مغرماً بذلك ، مبتلىً بحبه ، فسلكت هذا المنهاج شهوةً فيه ، وإن كان على ماهو من الامتهان ، غير أني ألتذّ بعمله كما يلتذّ غيري بالفلاحة والقنص »
ونعتقد أن هذا الولع من أسباب تبريز أبي مروان في الطب حتى فاق أقرانه . واشارته إلى امتهان هذا العمل انما هي من حب الترفع عن الأعمال اليدوية والاقتصار على الأعمال الفكرية .

ألف عبد الملك كتباً عدةً ذكرها ابن ابي أصيبعة وهي :

١ ـ كتاب التيسير في المداواة والتدبير ـ ألفه للقاضي أبي الوليد بن رشد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ ـ كتاب الأغذية ـ ألفه لابي محمد عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين .
٣ ـ كتاب الزينة .
٤ ـ تذكرة في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه ـ ألفه لولده أبي بكر وذلك في صغر سنه وأول سفرة سافرها فناب عن ابيه فيها .
٥ ـ مقالة في علل الكلى .
٦ ـ رسالة في علتي البرص والبهق ـ كتب بها إلى بعض الاطباء في اشبيلية .
٧ ـ تذكرة ـ كتبها لابنه أبي بكر أول ماتعلق بعلاج الامراض .

وذكر مؤلفون آخرون لابي مروان كتابا هو « الاقتصاد في إصلاح الأنفس والاجساد » ولم يذكره ابن ابي اصيبعة وانما ذكر له كتاب الزينة . ونظن أن الكتابين هما كتاب واحد وأن ابن ابي اصيبعة ذكر كتاب الزينة ويعني به كتاب الاقتصاد لشدة إلحاح المؤلف فيه على الزينة والتجميل . كتبه لابراهيم بن تاشفين الأمير المرابطي . وهو كتاب معروف كنا وصفناه ولخصنا محتواه في أسبوع العلم الثالث عشر الذي عقد في حلب ١٨ ـ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٢ ونشر التلخيص في مجموع أعمال الاسبوع والكتاب مايزال مخطوطاً .

ومن أسماء بعض الكتب السالفة نتبيّن مدى عناية ابن زهر بالأغذية والأدوية في نطاق صناعته الطبية .

أهم تلك الكتب كتاب التيسير الذي نحن بصدده . وقد ألفه كما سبقت الاشارة استجابةً لطلب القاضي الفيلسوف ابن رشد المشهور إذ كان بينه وبين عبد الملك بن زهر مودة . فلما ألف ابن رشد كتابه في الامور الكلية ودعاه بكتاب الكليات طلب الى ابن زهر أن يؤلف كتابا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الامور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب كما يذكر ابن أبي اصيبعه . وقد أشار إلى ذلك ابن رشد نفسه في آخر كتابه ونوه بتتام الكتابين . ولما ظهر الكتاب ذاعت شهرته لمعالجة الامور الجزئية في شرح اجزاء البدن بالترتيب وما يصيب كل عضو من الامراض وطرق مداواته بحيث يفيد الكتاب الطبيب الممارس والمثقف العادي الذي يريد أن يلمّ بنصيب من المعرفة الطبية ويتفهم أنواع العلل ويتحاماها ماأمكن . وغدا الكتاب معتمداً في التدريس في دور الطب ، وتداوله الاطباء والمثقفون ، وتُرجم إذ ذاك الى اللاتينية . وكان في المغرب يقابل كتاب القانون لابن سينا في المشرق أهميةً ومكانةً ونفعاً ولكنه أخف مؤونة وأيسر كلفة وأقرب تناولا . ولكي يكون الكتاب تام الفائدة ألحق به مؤلفه فصلاً طويلاً مستقلاً دعاه بكتاب « الجامع » ، ويشتمل على ماكان يدعى بنسخ الدواء وما ندعوه اليوم بالوصفات الطبية ، وهي علاجات بأشربةٍ ومعاجينَ وأدهان لما يحدث في البدن من الامراض والاعراض كي يسهل تناولها لمن « كان بمعزل عن الطب القياسي وعن النظر الصناعي » كما يقول المؤلف نفسه .

وقد حقق الكتاب المرحوم الدكتور ميشيل الخورى عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ونشر عام ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثقافة الصيدلانية العربية

موضوع البحث الذي نقدمه هو المداواة والتغذية بالعقاقير النباتية في كتاب التيسير . بيد أن هذا البحث يستدعي نظرة عامة ومجملة في كتب العلماء الذين ألفوها في هذا الميدان وهي التي كونت التيار الغالب للمداواة في الحضارة العربية الاسلامية التي انتهت الى مؤلف التيسير ، وان كان بعضها مفقوداً أو مايزال مخطوطا .

لاشك أن الكتاب الذي كان له أبلغ الاثر في ذلك التيار هو « المقالات السبع من كتاب دياسقوريدوس وهو هيولى الطب في الحشائش والسموم » (نشره المستشرقان الاسبانيان سزار أ . دبلر والياس تريس عام ١٩٥٢ دار الطباعة المغربية ، تطوان) . مؤلفه كما هو معروف طبيب حشائشي نبغ في بلاد الشام فهو من عين زربى في قليقيا اهتم بالعقاقير الطبية والنباتية وساح يبحث عن الحشائش ويتفهّم خواصها ثم كتب ذلك الكتاب . ترجمه بمدينة السلام اصطفن بن بسيل في زمن المتوكل من اليونانية الى العربية وتصفح ذلك حنين بن إسحق فصحح الترجمة وأجازها . « فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته اسماً له في اللسان العربي فسره بالعربية وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالا منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي ، إذ التسمية لا تكون الا بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الادوية بما رأوا وأن يسموا ذلك إما باشتقاق وإما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية . فاتكل اصطفن على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شخوص يأتون بعده ممن عرف أعيان الادوية التي لم يعرف هو لها اسماً في وقته فيسميها على قدر ماسمع في ذلك الوقت » ، كما ورد في كتاب ابن أبي اصيبعة .

وقد حرص العرب على استقصاء فوائد هذا الكتاب في شتى مناطق حضارتهم . وانتقل الكتاب الى الاندلس . وقد يكون من المناسب أن نتعرف المراحل التي مر بها هذا الكتاب . فقد أهدى ملك القسطنطينية الى الملك الناصر عبد الرحمن بن محمد بالاندلس هدايا منها كتاب ديسقوريدس مكتوبا بالاغريقية وأرسل اليه بعد ذلك راهباً يدعى نيقولا تعاون هو وجماعة من الاطباء الاندلسيين في تفسير العقاقير الواردة في الكتاب والدلالة على أعيانها . وألف ابن جلجل الذي ادرك الراهب نيقولا وجماعته وصحبهم كتاباً في « تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس » ولسنا نعرف بالضبط هل ترجم كتاب ديسقوريدس ترجمة جديدة بالاندلس أو بقي الاعتاد على ترجمة اصطفن بن بسيل وتصحيح حنين لها ثم إدخال بعض التعديل والايضاح على تلك الترجمة .

وكان كتاب ديسقوريدس قد نقله حنين بن إسحاق من اليونانية الى السريانية لرئيس الاطباء بختيشوع بن جبريل . ثم نقل الكتاب من السريانية الى العربية أبو سالم الملطي نقلاً فيه شيء من اللكنة السريانية في زمن السلطان ألبي بن تمرتاش أحد الملوك التركمانيين في ديار بكر وماردين وميافارقين في القرن السادس الهجري (القرن الذي عاش فيه ابن زهر) . ولما لم تكن الترجمة واضحة ولا سليمة كلف السلطان نفسه مهران بن منصور بن مهران أن ينقله مرة جديدة الى العربية نقلاً سليماً ودقيقا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأياً كان الامر فان كتاب الطبيب الشامي الذي كتبه بالاغريقية غدا مصدرا مهماً بعده لجالينوس وليحيى النحوي ولأمثالهما في الحضارة الاغريقية المتأخرة ، ثم للعلماء والاطباء العرب في المشرق والمغرب فألفوا في الادوية المفردة كتباً استفادوا فيها من ذلك الكتاب وزادوا عليه زياداتٍ واسعة جداً بما نقلوه عن المصادر الفارسية والهندية وبما توارثوه من المعارف العربية القديمة في هذا الشأن وبما عرفوه هم أنفسهم ومارسوه بخبرتهم وتجاربهم ، وبذلك تجاوزوا تجاوزاً كبيراً تلك المعارف المكتوبة باللغة اليونانية . وقد ألف ابن جلجل نفسه « مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به وما لايستعمل لكيلا يُغْفَلَ ذكره » . وقال ابن جلجل : « ان ديسقوريدس أغفل ذلك ولم يذكره إما لأنه لم يره ولم يشاهده عياناً وإما لأن ذلك كان غير مستعمل في دهره وأبناء جنسه » (طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة) .

وبحث المستشرق مكس ميرهوف عن المؤلفين في هذا المضمار إبّان الحضارة العربية الاسلامية من خلال كتاب القفطي وكتاب ابن أبي اصيبعة فأحصى منهم مائة وعشرة مؤلفين كتب بعضهم أكثر من كتاب واحد في هذا الموضوع (مقدمة المستشرق لكتاب « شرح أسماء العقار » لموسى بن ميمون) . ومع ذلك بقي كتاب ديسقوريدس ركناً من أركان الصيدلة العربية الاسلامية .

وأكثر المؤلفين ذكروا هذا الكتاب ونوّهوا بشأنه ولكنهم في بعض الاحيان نبّهوا على الزيادات التي زادوها في هذا الميدان .

ولا شك أن الاسماء اليونانية لبعض النباتات دخلت العربية على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الطريق وعلى طريق ترجمات كتب الطبيب المشهور جالينوس التي انضمت معارفها الى التراث الطبي والصيدلاني العربي . وذكرت الكتب العربية أصول تلك الاسماء . ولكن إلى جانب بعض الالفاظ اليونانية دخلت ألفاظ فارسية وسريانية وهندية وبربرية واسبانية بحيث أصبح أحياناً للعقّار الواحد أسماء متعددة أي مترادفات تبث البلبلة والحيرة لدى الباحثين والعلماء في الاهتداء اليها اذا غاب عنهم معنى لفظ مرادف عند حرصهم على التدقيق والتحقيق .

وهذا ماحفز العالم الكبير أبا الريحان البيروني أن يعمد في أواخر حياته إلى تأليف كتابه « الصيدنة » (ترجمه الى اللغة الروسية مع تحقيق علمي واسع عبيد الله كريموف من أزبكستان كما تُرْجِمَ الكتاب الى اللغة الفارسية قديماً وإلى الانكليزية حديثاً) .

ولما كان أبو الريحان يشارف الثمانين من عمره اذ ذاك احتاج لمن يعاونه في جلب العقّار ليتأمله ويصفه عن عيان ، فهو لا يكتفي بالنقل بل يعتمد على المشاهدة والتدقيق فوجد عالماً طبيباً اسمه أبو حامد أحمد بن محمد النهشعي كان مديرا لمستشفى أو بيمارستان . وقد نوّه بهذه المعاونة إذ قال : « وقد قام بحق المعاونة في إضافة ما معه إلى ما معي ودوام السعي في مسألة من له بصر بالصيدنة بحسب المكان والزمان ثم حمل الادوية المفردة إلى ماقِبَلي لإصفها عن عيان » . ونبّه ، وهو المدقق المحقق ، على مايلحق بالكتب المترجمة من اليونانية الى العربية من تحريف وغموض واستعمال ألفاظ أجنبية تستر المراد دون فهم دلالاتها فقال : « إلاّ أنّا لانثق بها ولا نأمن التغاير في نسخها . وللتراجمة فيها خيانة أخرى هي ترك مايوجد في أرضنا من العقاقير وفي لغة العرب اسم لها على حاله باليونانية حتى يحوج الترجمة إلى تفسير كالكرفس الجبلي والجزر البري والزرشك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولحية التيس وامثالها فانهم لم ينقلوها الى العربية » .

وهو يكره الغموض الناشيء عن استعمال الفاظ غريبة كما يكره الاستغلال المالي الذي قد يستغله باعة العقاقير . ويورد قصة وقعت في عصره نذكرها لطرافتها ولقلة شيوع كتاب الصيدنة . يقول : « وفي الاحاطة باسم الدواء الواحد بصنوف اللغات فوائد . وأتذكر أن بعض أمراء خوارزم اعتل وأُنفذ إليه من نيسابور نسخة دواء لعلته وعرضت على الصيادنة فلم يهتد لعقار واحد فيها الا واحد منهم ذكر أنه عنده واشتري منه بخمسمائة درهم صرف خمسة عشر وأخرج اليهم أصل السوسن فاستنكروه وقال : مابعتكم الا ماجهلتموه من الاسم دون الجسم » .

ودفعاً للغموض ومنعاً للاستغلال وحباً في نشر العلم وايضاح مدلولات الالفاظ ذكر مؤلف الصيدنة الادوية المفردة والعقاقير في كتابه بلغات عدة كالرومية والفارسية والسريانية والخوارزمية والسنسكريتية والعبرية وبلهجات شتى اذ ذاك كالسندية والبخارية والترمذية والبلخية والطخارية وغيرها . فكتابه يتجاوز مجرد الصيدنة الى صفة معجم متعدد اللغات واللهجات . هذا ولفظا الصيدنة والصيدلة سواء . ومن المؤسف أن يبقى هذا الكتاب المهم في اللغة العربية غير مطبوع طبعاً محققاً وواسع النشر .

ولا يمكن أن ننتقل الى الكتب التي ظهرت في المغرب في هذا الميدان دون أن نشير الى كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا معاصر ابي الريحان البيروني . وكتاب القانون هذا الذي تناقلته دور الطب في الشرق يشتمل على بحث واف في الادوية المفردة والمركبة .

من أقدم من ألّف في مفردات الادوية والعقاقير الطبية في المغرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

إسحاق بن عمران وهو بغدادي الاصل استقدمه زيادة الله بن الاغلب في تونس فاستوطن القيروان ، وبه ظهر الطب بالمغرب . من كتبه المتعددة كتاب الادوية المفردة . وقد قتل حول عام ٢٩٢ هجرية .

ثم إسحق بن سليمان الاسرائيلي وهو كحّال من أهل مصر قدم القيروان ولازم إسحق بن عمران وتتلمذ له . عُمِرَّ عمراً طويلا . له كتاب الاغذية والادوية . وكتبه من أوائل الكتب التي ترجمها قسطنطين الافريقي الى اللاتينية . مات عام ٣٢٠ هـ .

ثم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزار من أهل القيروان وهو من أسرة الجزار المعروفة بالطب فهو طبيب ابن طبيب وعمه ابو بكر طبيب . وكان ممن لقي اسحاق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه . وقد شهر بعلمه وفضله ونزاهته . له عدة كتب جيدة يهمنا منها كتابان في الصيدلة هما كتاب الادوية المفردة ويعرف بالاعتماد وكتاب في الادوية المركبة ويعرف بالبغية . كما أن له كتاباً طريفاً اسمه طب الفقراء . وهو رسالة في أبدال الادوية . هذا وان الجامعة العربية احتفلت بذكراه هذا العام ، وقد ترجمت طائفة من كتبه الى اللاتينية وبعضها الى اليونانية . مات عام ٣٩٥ هـ .

كتب هؤلاء الاطباء كانت عمدة الطب وركيزته في المغرب وفي اسبانية . وقد كانت القيروان متألقة بالمعارف والعلوم . وسبق أن ذكرنا رحلة أبي مروان عبد الملك بن زهر الاول الى المشرق إذ دخل القيروان ومصر ليأخذ الطب عن علمائها وأطبائها .

وقد نبغ في اسبانية العربية الاسلامية كبار الاطباء الذين اشتغلوا الى جانب الطب بتركيب العقاقير الطبية والتأليف فيها . نوّه بهم ابن أبي أصيبعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الذين كتبوا في الصيدلة سعيد بن عبد ربه وهو ابن اخي أبي عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد . لسعيد هذا من الكتب كتاب الاقراباذين . مات عام ٣٢٨ هـ .

ولم يَخْلُ بعض الاطباء من أن يصححوا أخطاء بعض الكتب السابقة . فقد نشأ عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم القرطبي وهو غير الحسن بن الهيثم الطبيب والرياضي المشهور وغدا طبيبا يعنى بالحشائش والمفردات ، وكان بين الجماعة الذين رافقوا نقولا الراهب وصححوا ترجمة كتاب ديسقوريدس . له كتاب « الاقتصاد والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد » . وله ايضا كتاب « الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء . » توفي عام ٣٤٠ هـ .

ومن الذين ألفوا في الطب وترجموا للاطباء وكتبوا في المفردات وأعانوا على شرح كتاب ديسقوريدس وأكملوا ماغاب عنه في كتابه لعهدهم ابن جلجل (سليمان بن حسان) وقد مرت الاشارة الى ماألف في هذا الميدان . عاش ابن جلجل في أيام هشام المؤيد بالله ، ومات عام ٣٧٢

ومن اشهر الاطباء الاندلسيين ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي . كان طبيباً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة . له كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » وهو من أشهر الكتب الطبية وقد توفي سنة ٤١٠ هـ وكتابه ترجم الى اللاتينية باسم Liber servitoris . وكتابه هذا الواسع يبحث الجزء السابع عشر منه في الادوية المفردة . وقد تداول كتابه الاطباء من بعده وذكروه في كتبهم .

وكانت الادوية الناجحة من السلع التي يُتاجر بها بين المشرق والمغرب . فقد ذكر ابن أبي أصيبعة نقلاً عن ابن جلجل أن الطبيب الحراني ورد من المشرق الى الاندلس « وكانت عنده مجربات حسان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالطب فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها وأدخل الاندلسَ معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين دينارا لأوجاع الجوف فكسب به مالاً فاجتمع خمسة من الاطباء واشتروا منه شربة من ذلك الدواء وانفرد كل واحد منهم بجزء يشمه ويذوقه ويكتب ماتَأَدَّى إليه منه بحِسِّه . ثم اجتمعوا واتفقوا على ماحدسوه وكتبوا ذلك . ثم نهضوا إلى الحراني وقالوا له : قد نفعك الله بهذا الدواء الذي انفردت به ، ونحن أطباء اشترينا منك شربة وفعلنا كذا وكذا وتأدّى إلينا كذا وكذا . فان يكن ماتأدّى إلينا حقاً فقد أصبنا والاّ فأشركنا في علمه فقد انْتَفَعْت . فاستعرض كتابهم فقال ماأعديتم من أدويته دواء ، لكن لم تصيبوا تعديل أوزانه . وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير فأشركهم في علمه وعُرِفَ من حينئذ بالاندلس . »

والخلاصة أنهم بالتعبير الحديث أحسنوا تحليل المعجون تحليلا كيفيا ولم يستطيعوا تحليله تحليلا كميا .

ومن العلماء الاطباء الذين الفوا بالاندلس في الادوية عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي . كان في أيام ابن ذي النون بمدينة طليطلة وتوزّر له .

نقل ابن أبي أصيبعة عن القاضي صاعد أن ابن وافد « تَمَهَّرَ بعلم الادوية المفردة حتى ضبط منها مالم يضبطه أحد في عصره وألف فيها كتابا جليلا لانظير له جمع فيه ماتضمن كتاب ديسقوريدس وكتاب جالينوس المؤلفان في الادوية المفردة ورتبه أحسن ترتيب . قال : وأخبرني أنه عانى جمعه وحاول ترتيبه وتصحيح ماضمّنه من أسماء الادوية وصفاتها وأودعه اياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها نحواً من عشرين سنة حتى كمل موافقاً لغرضه وتم مطابقاً لبغيته . وله في الطبّ منزع لطيف ومذهب نبيل وذلك أنه كان لايرى التداوي بالادوية ماأمكن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التداوي بالاغذية أو ماكان قريباً منها ، فاذا دعت الضرورة الى الادوية فلا يرى التداوي بمركبها ماوصل الى التداوي بمفردها ، فان اضطر الى المركب منها لم يكثر التركيب بل اقتصر على أقل مايمكنه منه . وله نوادر محفوظة وغرائب مشهورة في الابراء من العلل الصعبة والامراض المخوفة بأيسر العلاج وأقربه . » وقد توفي عام ٤٦٧ .

ومن الذين لهم خبرة واعتناء بالغ بالادوية المفردة يونس بن اسحق بكلارش خدم بصناعة الطب بني هود وله كتاب « المجدولة في الادوية المفردة » وقد دعي كتابه بالمستعيني نسبة الى المستعين بالله .

وفي بلدة دانية بشرق الاندلس حيث عاش جد بني زهر ونشأ ابنه ابو مروان نبغ ابو الصلت أمية بن عبد العزيز في صناعة الطب وغيرها من العلوم وكان أديباً ممتازا وشاعرا مجيدا . له كتاب في الادوية المفردة توفي سنة ٥٢٩ .

وأمية هذا ظهر في القرن السادس الهجري أهم عصور الاندلس علما وثقافة وحضارة وقد تتابع بعده كوكبة من العلماء والفلاسفة والاطباء وتطاير صيتهم . ومن أبرزهم أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بابن باجة ، علامة وقته وأوحد زمانه . من كتبه الطبية « كلام على شيء من كتاب الادوية لجالينوس » و « كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد . » اشترك في تأليف هذا الكتاب ابن باجة وابو الحسن سفيان . توفي ابن باجة ٥٣٣ هـ . ومن تلاميذه القاضي ابن رشد .

أبو الوليد هذا مولده ومنشؤه بقرطبة وقد اشتهر بتمحيصه أقوال ارسطو وشرحه لها واتّباعه اياها وترك أثراً ضخماً في التفكير الأوربي بعدما نقلت كتبه وآراؤه الى اللاتينية فأثرت في كبار مفكريها ولا سيما القديس توماس الاكويني . ولكنه كان متميزاً في علم الطب . وله في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

الطب كتاب الكليات وقد أشرنا إليه حين ذكرنا سبب تأليف ابن زهر لكتابه التيسير . يبحث السفر الخامس من الكليات الادوية والاغذية ولابن رشد أيضاً تلخيص كتاب المزاج لجالينوس وتلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس وتلخيص أول كتاب الادوية المفردة لجالينوس ومقالة في الترياق ، الى جانب كتبه الاخرى الكثيرة . توفي ابن رشد ٥٩٥ هـ .

لا غرو بعد هذا العرض أن يستبين التقدم الكبير الذي تقدمه علم الطب ولا سيما البحوث التي تتناول الادوية والعقاقير . وذلك أن الاطباء العرب المسلمين كانوا يعتقدون مضمون الحديث الشريف : « مأنزل الله داءً الا أنزل له شفاء » . فكانوا يلتمسون الشفاء في العقاقير الموجودة على الارض من معدنيات ونبات على وجه الخصوص . ولذلك اشتدت عنايتهم بالحشائش وتلقفوا خصائصها من مختلف المصادر ولا سيما اليونانية وبحثوا هم انفسهم في الاقطار وجربوا ماستطاعوا حتى فاقوا الامم جميعا قبلهم ولعهدهم .

في هذا العصر الغنيّ بالثقافة والثّريّ بالعلوم ظهر بالاندلس بيت بني زهر الطبي وبرز بينهم مؤلف في العقاقير الى جانب تأليفه في الطب وهو ابو العلاء بن زهر أبو مؤلف كتاب التيسير . كتب في هذا الموضوع كتاب الخواص وكتاب الادوية المفردة ومقالة في الرد علىابن سينا في مواضع من كتابه في الادوية المفردة ، ألفها لابنه أبي مروان ومقالة في بسط رسالة يعقوب بن اسحق الكندي في تركيب الادوية . فلا غرو أن رسخ هذا الميل العميق في نفس ولده الالمعي وهو ميل استحوذ عليه الاستحواذ كله . وقد اشرنا إلى ذلك آنفا .

وفي زمن ابي العلاء هذا وصل كتاب القانون لابن سينا الى المغرب . حمل نسخة منه تاجر أتى بها من العراق الى الاندلس بولغ في تحسينها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأتحف بها أبا العلاء تقربا اليه ولم يكن هذا الكتاب وقع اليه قبل ذلك . يروى أنه لما تأمله « ذمه واطرحه ولم يدخله خزانة كتبه وجعل يقطع من طرره ما يكتب فيه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضى » . وأغلب الظن عدم صحة هذه الرواية أريد بها اظهار نبوغ طبيب متفوق لعهده . وإلاّ كيف يكتب مقالته في الرد على ابن سينا وهي التي اشرنا اليها آنفا . توفي ابو العلاء عام ٥٢٥ . ومهما يكن من أمر فان ثقافة ذلك العصر الطبية وثقافة بيت بني زهر هيأت أبا مروان عبد الملك مع مواهبه النادرة للتألق في افق الطب والتأليف فيه .

وربما كان من المناسب أن نذكر أخيرا بعض المؤلفين الذين ظهروا في عصر مؤلف التيسير وبعده وكتبوا كتبا مشهورة في العقاقير الطبية . وهكذا لابد من الاشارة في ذلك العصر الى احمد بن محمد الغافقي المتوفى عام ٥٦٠ هـ . كان طبيبا وعقاقيريا . من تصانيفه كتاب الادوية المفردة .

وكذلك إلى موسى بن ميمون توفي عام ٦٠٥ هـ مؤلف كتاب « شرح أسماء العقّار » الذي نشره المستشرق مكس ميرهوف .

ثم جاء العشاب ابن الرومية احمد بن محمد الاشبيلي ٥٦١ ـ ٦٣٧ هـ ويدعى ايضا بالنباتي . زار مصر والشام والعراق والحجاز مدة سنتين يأخذ عن شيوخها الحديث وعن منابتها الاعشاب . فاق أهل زمانه في معرفته بالنبات وتمييز العشب . له « تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس » و « أدوية جالينوس » و « الرحلة النباتية » يصف فيها رحلته العلمية .

وأهم الموسوعات المتأخرة في هذا الميدان خلال القرن السابع الهجري كتاب « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » لابن البيطار (عبد الله بن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

احمد) . وهو كتاب واسع الشهرة والانتشار . وابن البيطار مالقي اندلسي هاجر الى دمشق وأقام فيها حيث توفي عام ٦٤٦ هـ . وهو استاذ ابن أبي اصيبعة .

ومن الكتب المتداولة في هذا الشأن كتاب « المعتمد في الادوية المفردة » مؤلفه شرقي ، وهو الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني صاحب اليمن المتوفى سنة ٦٩٤ استخرجه من كتاب ابن البيطار ومن كتاب ابن جزلة المعروف بالمنهاج ومن كتاب حسن بن ابراهيم التفليسي ومن ابدال الزهراوي وابدال أحمد بن (إبراهيم بن أبي خالد) المعروف بابن الجزار ، كما يذكر مؤلفه ذالك في مقدمته . وقد حقق وطبع عدة مرات ، ولذلك آثرنا ذكره .

ثم جاء في القرن العاشر المؤلف السوري الضرير داوود الانطاكي وكتب كتابه المشهور « تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب العجاب » . عاش في القاهرة وتوفي في مكة عام ١٠٠٨ هـ .

وهكذا يستبين ازدهار التأليف في مجال الصيدلة والتحري عن خصائص العقاقير والحشائش الطبية ازدهاراً قل مثيله نجد ملامح منه في كتاب التيسير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاعتبارات الطبية والمنهج العلمي في التيسير

ورث العرب فيما ورثوه من الحضارات الخالية علوم اليونان الطبية . وكان أشد ماتأثروا منها كتب ابقراط وأرسطو وجالينوس وكتاب ديسقوريدس . واشتد ميلهم خاصة الى جالينوس فتلقفوا كتبه المترجمة ومحصوها وأخذوا بأكثر ماجاء فيها . وذلك لان الفكر اليوناني كان نظرياً في أغلبه . وكان جالينوس وأمثاله في مدرسة الاسكندرية أكثر تمشيا مع التجربة وأوفر ملاحظة فَوَاتى هذا الاتجاه الفكر العربي . لقد تقبل هذا الفكر بعض الاعتبارات النظرية لانه كان بحاجة اليها ولكنه اتجه اتجاها تجريبيا نجد ملامحه ومعالمه فيما كتبه اطباء الحضارة العربية الاسلامية وعلماؤها .

من المعروف أن اليونان كانوا يعتمدون في تأملهم المادة على فكرة العناصر الاربعة وهي الارض والماء والهواء والنار . ولفظ العناصر هذا له مرادفات يحسن جلاؤها أول الامر . ذلك أن اللغة العربية واسعة وغنية فاستعمل العلماء العرب ألفاظا متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار ولكنها في النهاية تدل على تصورات واحدة . وتلك الالفاظ هي الركن والعنصر والاصل والاسطقس والمادة والهيولى والموضوع . وهي قد تدل دلالة واحدة ولكن هذه الدلالة تختلف من جهة الاعتبار . وذلك لان الشيء الذي يتكون منه شيء آخر لابد من أن يكون قابلاً للصور ، فباعتبار كونه قابلا للصور مطلقا من غير تخصيص بصورة معينة يسمى هيولى . وباعتبار كونه قابلا لصورة معينة يسمى مادة (وقد يقال له بهذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاعتبار طينة وجبلة) . وباعتبار الصورة حاصلة فيه بالعقل يسمى موضوعا . وباعتبار كونه جزءا من المركب يسمى ركنا . وباعتبار كونه يبتدىء منه التركيب يسمى عنصرا . وباعتبار كون ذلك المركب مأخوذا منه يسمى اصلا ، لان أصل الشيء مامنه الشيء .

ويقابل تلك العناصر الاربعة الطبائع الاربع وهي اليبوسة والرطوبة والبرودة والنار . وقد تسمى هذه أوائل الملموسات أو الكيفيات الأُوَل .

هذه الطبائع الاربع تتمثل ممتزجة في جسم الانسان بالاخلاط الاربعة . وهي الدم وهو حار رطب ، والبلغم وهو بارد رطب ، والصفراء وهو حار يابس ، والسوداء وهو بارد يابس . وكل واحد منها ينقسم الى طبيعي وغير طبيعي . والطبيعي أو المحمود هو الذي من شأنه ان يصير جزءا من جوهر المغتذي وحده أو مع غيره . وغير الطبيعي أو الرديء هو الذي ليس من شأنه ذلك .

والمزاج في الاصل مصدر مازج نقله الحكماء والاطباء الى ماركّب عليه الشيء من الطبائع . والمزاج في الاشياء ينقسم الى أول وثان . فالاول هو الحادث عن مجرد امتزاج العناصر . والثاني هو الحادث عن امتزاج الامزجة كالترياق فان لكل من مفرداته مزاجا خاصا وللمجموع مزاجا آخر . وهذا الثاني قد يكون صناعيا كمزاج الترياق وطبيعيا كمزاج اللبن .

ومزاج البدن ماركب عليه من الاخلاط الاربعة . والامزجة تنقسم في كيفية واحدة الى حار وبارد ورطب ويابس . وتنقسم في كيفيتين الى حار رطب وحار يابس وبارد رطب وبارد يابس . وهكذا تكون الامزجة موازية أو مساوية للاخلاط الاربعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمزاج ينقسم أيضا بحسب الكيفية والكمية الى معتدل أو مستو والى غير معتدل أو مختلف . ومعنى المعتدل عند الاطباء مايتوافر من كميات العناصر وكيفياتها القسط الذي ينبغي له وما يليق بحاله ويكون أنسب بأفعاله . وغير المعتدل مالا يتوافر ذلك فيه .

والصحة هيئة طبيعية يكون بها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث تصدر عنه الافعال كلها صحيحة سليمة . ويقابلها المرض عند فريق من الاطباء فلا واسطة بين الصحة والمرض إذ لاخروج من النفي والاثبات . وهنالك فريق من الاطباء ذهب الى الواسطة كجالينوس ومن تبعه ، ومنهم ابن زهر ، وسمّوا الواسطة الحالة الثالثة .

وهكذا نفهم كلام ابن زهر حين يرى أن « هذه المزاجات تكون طبيعية منذ خلق الانسان وتكون عرضية . ووجه الصواب فيما هو عرضي أن ترده الى مزاجه الطبيعي بالادوية والاغذية . واعتمد في ذلك على مثل مايكون انحرافه من ضد الجهة التي مال اليها المزاج بنقصان بعض درجة ، فانك بالدؤوب تنقل المزاج من غير أن تحدث آفة في البدن . فان المزاج اذا انحرف الى جهة ورام الطبيب صرفه سريعا ، إن كانت القوة في البدن قوية ، احتمل ذلك وشفاه الله ، وأما إن كانت القوة ضعيفة ، إما خلقة وإما بالسن والكبرة ، فاني لا آمن عليه أن يتلفه مع مزاجه ، فالحزم ماذكرته . هذا فيما هو عرضي ، وأما ماهو طبيعي فأنت في الامر بين شيئين في جميع الاعضاء ، بين أن تبقيه على حاله فيكون صاحبه يسمى صحيحا ، وإما أن تنقله رويدا رويدا الى ضد الجهة التي مال اليها مزاجه . وليس يمكنك هذا الا فيمن هو في سن الصبا والغاية في سن الشبيبة ، وأما فيمن أسن فليس يمكنك ذلك ، ولا مع الصبي يتم ذلك الا مع فراغ وتمكن وأمور لاتخرجه عن فعل ماينبغي » . (ص ٢٨٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكذلك نفهم تمحيصه في التعبير وتفريقه بين مصطلحاته المتقاربة حين يقول : « وقولي لك بلغم وبلغمي وصفراء وصفراوي ودم ودموي وسوداء وسوداوي ليس قولي ذلك بمعنى واحد فان البلغم الذي هو رطب المزاج بالقوة بارد المزاج بالقوة أيضا . وما قلت فيه بلغمي يمكن ان يكون رطب المزاج ولا يقال فيه بارد المزاج لحرارة تسلطت عليه أو لعفونة .

وكذلك قولي صفراء هو ماهو لطيف الجوهر حار المزاج يابسه صَيَّرَتْه كذلك إحالة الكبد . وما قلت فيه صفراوي قد يكون حارا يابسا ولا يكون لطيفا كالصفراء المُحيّة وغيرها . وكذلك قولي دم هو الجوهر الحار الرطب الملائم لحياة الانسان . وقولي دموي ربما قلته عما قد استحال الى الحمرة من غير أن تكون استحالته كلية في جملة جوهره أو يكون قد احترق بعض الاحتراق فخرج عن حد الدم الحقيقي ، ولكنه يقال فيه دموي . وأما السوداء فانما هي الخلط البارد اليابس وهو من أركان البدن . وقولي سوداوي انما هو مالم يكن كذلك باحالة طبيعية محمودة على طريق الصلاح والفلاح الى تلك الرتبة ، وانما خرج بأي حرارة اتفق الى أن صار خليطاً سوداويا . وهذا الخلط ليس من أركان البدن ولا واحدا مما تقدم ذكره من الاركان . » (ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

وعلى الغالب تقسم الامراض المفردة ثلاثة أجناس : سوء المزاج وسوء التركيب وتفرق الاتصال . يحصل سوء المزاج اذا صارت احدى الكيفيات الاربع أزيد أو أنقص مما ينبغي بحيث لاتبقى الافعال سليمة . وسوء التركيب عبارة عن مقدار أو عدد أو وضع أو شكل أو انسداد مجرى يُخِلُّ بالافعال . وتفرق الاتصال أو انتقاضه مايحدث عن قطع وفسخ وهشم ورضّ أو ماشابه ذلك من تمدد شديد أو شيء أكّال كالحمض أو مرارة بعض

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العقاقير كالتافسيا و الخردل (التيسير ص ١١٨ و ١١٩) .

تتم المعالجة والتأثير بالغذاء وبالدواء كما تتم بالراحة وتحسين الشروط المحيطة .

فالغذاء مايكون به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب أو هو مايقوم بدل مايتحلل في الجسم . هذا وكل مامن شأنه أن يصير بدلا لما يتحلل من بدن الانسان قبل وروده عليه يسمى طعاما وغذاء بالقوة ، وبعد وروده واستحالته الى مشابهة الاعضاء يسمى غذاء بالفعل . والغذاء على حد تعبيرهم أيضاً منه لطيف ومنه كثيف ومنه معتدل . فاللطيف هو الذي يتولد منه دم رقيق ، والكثيف هو الذي يتولد منه دم ثخين ، والمعتدل بين بين . وكل واحد من الاقسام قد يكون كثير التغذية وقد يكون قليل التغذية .

والكيلوس غذاء لم تتغير صورته النوعية بالكلية وهو رطب سيال شبيه بماء الكشك يحصل عن الطعام المختلط في المعدة .

والكيموس غذاء تغيرت صورته الاولى بالكلية . ويقال : هذا الطعام يولد كيموسا جيدا أو رديا .

والاغذية كسائر الاشياء ذوات أمزجة . فالفلفل ونحوه حار بالقوة على حين النار حارة بالفعل ، والخس والهندباء باردان بالقوة على حين الثلج بارد بالفعل وهكذا . والدواء مايؤثر في البدن أثراً ما بكيفيةٍ . وهو مفرد وهو الدواء الواحد . وهو إما نبات ، ويكون ثمرا أو بذورا أو زهرا أو ورقا أو قضبانا أو أصولا أو قشورا أو عصارات أو البانا (آتيا من اليتوعات) أو صموغا . وإما معدني وإما حيواني . أو هو مركب وهو مايكون مركبا من دواءين أو أكثر كالترياقات والمعجونات والايارجات والمطبوخات والحبوب واللعوقات والاقراص والجوارشنات والأضمدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاطلية والادهنة والاشربة والربوب والانبجات أي المربيات .

والدواء اسم لما يستعمل لقصد ازالة المرض والالم أو لاجل حفظ الصحة ليبقي على الصحة بخلاف الغذاء فانه اسم لما يستعمل بقصد تربية البدن وابقائه ليتحصل بدل مايتحلل بسبب الحرارة الغزيرة أو بسبب عروض العوارض .

وهناك دواء مطلق ودواء سمي ودواء غذائي وغذاء دوائي . والدواء المعتدل هو الذي يَرِد على البدن الانساني المعتدل وينفعل عن قواه بالحرارة الغريزية دون أن يؤثر فيه بكيفية زائدة على كيفيته وهذا الدواء خارج عن مطلق الدواء .

أما سائر الادوية فلها أربع درجات فالاولى أن يؤثر الدواء في البدن بكيفية زائدة على كيفيته دون أن يكون محسوسا احساسا ظاهرا . وهو يسخن ويبرد مثلا تسخينا وتبريدا لايحس به احساسا ظاهرا . لكن ان تكرر التناول أو كثر مقدار المتناول فيحس به احساسا ظاهرا . والدرجة الثانية أن يكون الفعل فيه أقوى من ذلك بأن يكون تأثيره محسوسا لكن لايبلغ ذلك الفعل أن يضر بالافعال ضررا بيّنا الا أن يتكثر أو يتكرر . والدرجة الثالثة أن يكون الفعل فيه موجبا بالذات أضرارا بَيّنةً لكن لا يبلغ الى أن يهلكه ويفسده الا أن يتكثر أو يتكرر . والدرجة الرابعة أن يكون الفعل بحيث يبلغ أن يهلكه ويفسده . ويسمى الدواء الذي في هذه الدرجة بالدواء السمي وهو غير السم لان هذا الدواء قاتل بكيفيته والسم قاتل بصورته النوعية .

ولابد في معرفة الدرجة من تعيين مقدار مخصوص من الدواء بحيث اذا ورد على البدن ترك فيه أثرا ما . فمعنى الحار في الأولى أن يخرج عن المعتدل بجزء واحد حار ، وفي الثانية عن الأولى بجزء واحد ، وكذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثالثة عن الثانية ، والرابعة عن الثالثة . وتركيب الأدوية ناشيء عن اختلاط الأخلاط المرضة . « وكما أن الأخلاط المرضة اختلطت يجب أن تخلط الأدوية في علاجها واصلاحها بذاتها وفي إخراجها بالادوية المسهلة » (التيسير ص ١٤٧) وعلى الطبيب أن يعرف كيف يستعمل الأدوية حسب درجاتها : « ويجب أن تعلم أن النخاع كما سائر الأعضاء ، متى خرج عن مزاجه الطبيعي من حيث إنه نخاع ، يجب أن تسعى في رد مزاجه عليه كيفما امكنك . لكن تجنب الافراط ولا تتعدّ في أدويتك وخاصة في النخاع الدرجة الثانة ، واجعل ترددك مابين أول الدرجة الثانية الى أول الدرجة الثالثة ومع ذلك فلا تُخْلِ دواءك من قوة يسيرة فيها قبض . وأما العطرية فاعتمدها جزافا من غير حذر ولا توقّ . وانما تنظر أو تتحرى فيما يُحر أو يبرد أو يرطب أو يجفف » (ص ١٣٨ ـ ١٣٩) .

هذا و « حكم الدواء وحكم الغذاء مختلفان ... وبينهما فرق عظيم وذلك أن الدواء انما نقدره بحسب المزاج والسن والوقت الحاضر والبلد وبحسب المرض ، والغذاء أيضا ندبره بحسب ذلك . غير أنا لاننسى واحدة : أن الغذاء اذا كان منافرا للمزاج منافرة شديدة وبعد عنه وان كان مقاوما للأسباب المرضة لم يغتذِ به البدن واندفع مع الفضول . فيجب أن يتوسط الحال وينظر جيدا . ولا تغفل هذه الزيادة فلا تُمِل الغذاء الى ضد الجهة المرضة » (ص ١٣٠ ـ ١٣١) (هذه الملاحظة من نوع المداواة بالمثل) .

ويعتمد الطبيب في تركيب العقاقير النباتية على الافادة من خصائصها مجتمعة تلقاء الاخلاط المختلفة كما سلف أو من تلطيف بعضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

خصائص بعض وقواه كتعديل الكثيراء من حدة شحم الحنظل واكرابه (ص ٣٢٤ - ٣٢٥) . هذا ويستعملها في أشكال شتى : نقعا وطبخا وعصارة ودهنا وشيا وغير ذلك .

وقد تستفيد الصيدلة الاندلسية من الصيدلة المشرقية في اعتماد بعض الادوية المركبة يتناقله الابناء عن الآباء : « ولم أجد بالتجربة شيئا اسرع فعلا في ذلك من دهن كان جدّي عبد الملك الحاج رحمه الله جلبه من المشرق وكان يعرفه بالبشامي . وكذلك لم أجد في نفع المفلوج اذا دهن به مؤخر رأسه مع فقاره مثله . وهو دهن أصفر اللون رقيق القوام عطر الرائحة حارها لطيف الجوهر قد شاهدت مرارا خلقا فتت حصاهم في أربع وعشرين ساعة . هذا أسرع مارأيته وأعجبه . » (ص ٢٧٧) .

ولم يدع الباحثون العرب في تمحيصهم وسيلة لشفاء المرض دون أن يلتمسوها أيما كانت وأنّى وجدت . وقد انتبهوا لعفن الخوابي التي تخزن فيها الاجبان للمؤونة فاستعملوه في معالجة بعض الامراض الجلدية الغامضة . وفي بحث الثآليل يذكر ابن زهر أنه « ان وضع عليه (على الثؤلول) شيء من دهن الجبن الموجود في الخوابي التي يختزن الجبن القديم فيها فانه ييبسه حتى يسقط بإذن الله » (ص ٣٤٦) . ومن المعروف أن العفن يستخرج منه بعض الصادّات الحيوية اليوم . وربما كانت قراءة الكتب القديمة المترجمة الى اللاتينية أوحت الى الباحثين الحديثين باستعمال هذا العفن وأمثاله ومزاولته واستخراج المادة الحية الفطرية التي تصطلم الآفة ، إذ لابدّ في الكشف عن شيء جديد من نواة إلهام تدفع اليه .

والأعضاء الرئيسية في البدن أربعة وهي الدماغ والقلب والكبد والأنثيان (وهما الخصيتان في الذكر والمبيضان في الانثى) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وثمة ألفاظ مشتركة في التراث أو متقاربة . فلا بد للطبيب العالم اذا استعمل بعضها أن يشرح المعنى الدقيق الذي يريده . ومن تلك الألفاظ الروح . « قولي روح إنما أعني به ذلك الجوهر اللطيف الذي يكون في القلب والذي يكون فيما شأنه أن يكون فيها من الأعضاء . ولست أريد بذلك الروح الذي أمره مجهول ، تقصر عقولنا عن علمه وهو الذي نحيا به ونموت عندما يقبض بقدرة الله عنا . وإنما أريد بقولي روحٌ البخارَ اللطيف الذي يكون في القلب وفي غيره من الأعضاء التي شأنها أن يكون نوع من ذلك فيها » (ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠) .

وكذلك الرطوبة لفظ مشترك « فإن الرطوبة تقع على الكيفية كما نقول عود السوس مرطب بازاء مانقول إن تبن القمح مجفف ونقول رطوبة نريد شيئاً متميعاً وإن كان يجفف بطبعه ، فنقول للصفراء رطوبة وللخل رطوبة وكلاهما يجفف » (ص ٨٣) .

ويفرق ابن زهر بين الورم والتورم : « قولي تورم إنما أريد غلظا يحدث في العضو غير طبيعي كالذي يعرض في يدي من يضرب بالمجاذيف من غير اعتياد أو من يحمل على عضو من أعضائه خردلاً أو تافسيا . وأما إذا قلت ورما فإنما أريد مادة منحصرة في موضع من البدن قد انقطعت فيه حتى لايصل التنفس النبضي الى الموضع على ماكان يصل قبل » (ص ١٠٠) .

كذلك يفرق بين الحار الغريزي والحرارة الغزيرية التي الحار الغريزي ينبوعها من جهة والحرارة العرضية من جهة مقابلة . « قولي حار غريزي انما أريد به إما الروح الذي ينبوعه القلب واما الروح الذي ينبوعه الكبد أو مجموعاً منهما . هذه الحرارة مصلحة للبدن أبدا ، كما أن الحرارة العرضية تخل بافعال الأعضاء أيما كانت من تعب أو من مجاورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شيء حـــار أو من اهتمام أو من غضب أو من أي شيء كانت وهي كثيراً مـاتُحـدث حرارة أخرى هي على الحمى أضر منهـا بكثير ، وهي الحرارة العفونية كما يكون في الحميات التي بأدوار المقلعة وغير المقلعة التي من أصنافها المسماة سونوخوس وهي التي لا تقلع كأنها نوبة واحدة الى أن يبرأ العليل أو يموت بقدره وبلوغ أجله . وهذه الحرارة هي التي بسببها تُنتن جثث الموتى من الحيوان وبها ينتقض اتصال أعضائها . ولـولا مقاومة الحرارة الغريزية لها وما تتنفسه من الهواء لعرض للجثث الحية في الحميات من تلك الحرارة العفونية مثل ما يعرض في الجثث الميتة من التزلع وانتقاض الاتصال » . (ص ١٠١ ـ ١٠٢)

والقوى التي تمسك على الجسم اعتداله أربع وهي الجاذبة والماسكة والمغّيرة والدافعة (ص ٢٧٢) .

وثمة الفاظ وردت في التيسير وغيره مخصوصة المعنى في الطب . فالقدح إخراج الماء الفاسد من العين .

والاستفراغ إخراج الفضول بالقيء أو بالرعاف أو بالتليين أو بالاسهال أو بالفصد أو بالشراب أو بالعرق أو نحو ذلك . وقد يطلق لفظ النفض على اخراج الفضول من البدن بالعلاج أيضاً . وللفصد عندهم في الطب مكانة كبرى .

والردع منع انصباب المادة الى العضو ومنع العضو من قبولها .

والدواء الذي يفعل ذلك يقال له الرادع . واستعمل ابن زهر لفظ المردع .والبحران حالة تُحدث للعليل دفعة استفراغا وتغيرا عظيما ويكون هذا في الأمراض الحادة ، وينتقل المريض من البحران الى صلاح أو إلى ماهو أشد مما هو فيه . « إنه مجاهدة بين قوى البدن وبين الخلط الممرض » على حد تعريف ابن زهر (ص ٤١١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وابن زهر يُعْجَب خاصة بجالينوس ويتبعه في تصرفه الطبي وفيما يذكره عن أبيه . ولكنه إلى جانب ذلك يذكر مشاهداته فيقول : « قد رأيت ذلك مشاهدة » أو يذكر ماجربه هو نفسه على الحيوان : « كنت في وقت طلبي إذ قرأت هذه الأقوال شققت قصبة رئة عنز بعد ان قطعت الجلد والغشاء تحته وقطعت من جوهر القصبة قطعا باتا دون قدر الترمسة ثم التزمت غسل الجرح بالماء والعسل حتى التأم وأفاق إفاقة كلية وعاش مدة طويلة . وعندما أخذ الجرح في الانكماش والاندماج كان يذرّر عليه جوز السرو مسحوقا منخولا حتى أفاق . ولكن هذا شيء لم يستعمله أحد ممن لحقناه وممن لحقه سلفنا . » (ص ١٤٩ ـ ١٥٠) . وقد يجلو المؤلف أوهاما دخلت عقول الاطباء : « لما كان الانسان على مذهب جالينوس تكوّنه من مني الاب ومن مني الام بقدرة الله واغتذاؤه منذ أول الحمل من الدم الآتي إلى الرحم ، وقد قال جالينوس في ذلك دم الطمث ، ظن كثير من أئمة علم الطب ذلك واعتقدوه على ماذكره ظاهرا . وليس الامر كذلك فان جالينوس انما جرى على عادة اليونانيين في أنهم يسمون كل دم يأتي الى الرحم طمثا يسمونه بحسب العضو كما جرت عادتهم أن يسموا كل مايكون في الحلوق من الأورام ، كان من خلط صفراوي أو من خلط سوداوي أو من خلط بلغمي أو من خلط دموي إذا كان الورم في الحلق ، ذبحة ، ويسمون كل ورم يكون في الغشاء المستبطن للأضلاع شوصة ، ويسمون كل ورم يكون في القدمين نقرسا كان من أي خلط كان ، كذلك لا محالة جرت عادتهم أن يسموا الدم اذا انصب الى الرحم طمثا . وأما الطمث الحقيقي وهو الذي ينقى به دم المرأة فلو اغتذى به لم يعش الجنين البتة . وانما يغتذى الجنين من أفضل دم يكون في بدن الأم » (ص ٤٣٢)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن أفضل مافي الطب العربي هذه النظرة الكلية إلى المريض . فاعضاء البدن مرتبط بعضها ببعض صحة ومرضا ، والبدن والنفس يقترن كلاهما بالآخر . وكذلك السن والوقت والمحيط والذكورة والأنوثة كل ذلك يجب الانتباه له عند المعالجة . ويستبين هذا لدى مطالعة الكتاب ووصف الدواء المناسب لكل داء . هذا إلى العناية الكبيرة بالمريض والاهتمام الدائم بشأنه .

كما أن أفضل مافيه اعتماد التجربة فهي المحك والفيصل القاطع . وهذا ما وجه العلم الانساني وجهة جديدة تجاوزت العلم اليوناني وغيره . « كل ماذكرته في كتابي هذا وأثبته لا شك انه سيروم من يتعسف تزييفه بالكلام وأنا أحاكمهم كنت حيا أو ميتا إلى التجربة . فان الكلام يدخله الصدق والكذب . والحجج منها ما هو برهان ومنها ماهو إقناع ومنها ماهو سفسطة ومنها ماهو تخيل . والبرهان هو ميزان حق في الحجج . لكن كثيرا ماتدخل فيه أقوال إما جدلية اقناعية وإما سفسطة وإما أقوال تخيلية . وليس يفرق بين الاقوال إلا البصير بعلم المنطق وخاصة إن كان بصيرا بعلم الطب . فحينئذ يمكنه أن يميز الحق من الباطل فيما يكون له بالطب معلق . وكثيراً ماقد يّموه عليه مَنْ شأنه اللجاجة . والتجربة وحدها هي التي تثبت الحقائق وتذهب البواطل » (٣٢٦ ـ ٣٢٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعليقات وشروح

أ ـ كل نظام فكري علمياً كان أو فنياً أو غير ذلك يستند في قواعده على مصادرات أو ما يدعى الآن أوليَّات . وهي تُفرَض وتقبل حسب العصر التاريخي والتقدم العلمي النسبي الحاصل فيه . ولقد بحث المفكرون قديماً كما هو معروف عن العناصر الأولى في الطبيعة فحسبوا أنها تنحصر في أربعة عناصر وهي الماء والهواء والنار والتراب . وبنوا على ذلك نظاماً فكرياً واسعاً أفاض فيه العرب . وربما كان توهم هذا الحصر متصلاً بما تأملوه وتخيلوه فهو يشف عن طبائع الخيال الانساني المتصل بهذه العناصر وقدرته إذ ذاك على التحليل كما ذهب إلى ذلك الفيلسوف الفرنسي غاستون بشلار وأمثاله . ولقد بحث هذا الفيلسوف طبائع الخيال الأربع هذه في الأدب خاصة .

ثم لما تقدم العلم وجد الباحثون أن الماء والهواء والتراب مواد مركبة وعرفوا العناصر التي تتركب منها ونسب هذه العناصر حين استطاعوا تحليلها الكيفي والكمي ووجدوا أن النار إذا نظر إلى الحرارة الناشئة منها فحرارتها ضرب من ضروب الطاقة .

وقامت على هذه الاعتبارات اتجاهات علمية جديدة تجاوزت مرحلة العناصر الأربعة . ولكن العلماء في عصر متأخر حسبوا أن العناصر الأولى من معدنيات وأشباه معدنيات محصورة العدد في الطبيعة كما هو معروف في جدول مندلييف . فنشأ من ذلك نظام علمي جديد .

ثم استطاع العلماء البلوغ إلى اطراف المادة الدقيقة وأجزاء الطاقة وتبينوا خواص الذرات وتصوروا بنية كل منها كما عرفوا إشعاع بعضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإمكان تحول بعضها إلى بعض وتمكنوا من صنع ذرات مشعة جديدة إلى جانب ماعرفوه من متاكنات تلك الذرات ثم أدركوا إمكان تحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة فقام على ذلك نظام فكري أحدث مما سبقه. وذلك كله في مجال الفيزياء والكيمياء. يضاف إلى ذلك التقدم الهائل الذي حصل في علم الأحياء وعلم الوراثة. وهذا كله ترتكز عليه نظم فكرية تتطور وتتبدل تدريجياً أو طفرات حسب المعرفة العلمية التاريخية النسبية.

وفي كل نظام فكري من تلك النظم لاغرو أن تنشأ تطبيقات مختلفة في شتى الميادين. ومن هذه الميادين علم الطب الذي هو علم تطبيقي.

ب ـ الألفاظ النباتية

(١) أنبج، أنبجات

اللفظ اللاتيني mangifera indica

من الفصيلة البطمية anacardiaceae

اللفظ الفرنسي manguier , arbre de mango ,

اللفظ الانكليزي mango , mango - tree

ثمرة شجرة هندية شهية الطعم وهي التي تدعى اليوم منغا أو منجا باللهجة المصرية تؤكل وتربب وتعصر شراباً وتخلل. وقد تربب بالعسل وتحمل إلى البلاد فيقال للمربى أنبجاً ويجمع على أنبجات بمعنى المربيات وهذا اللفظ الأخير على صيغة الجمع هو المراد وهو الوارد في المقال.

(٢) تافسيا هو باللاتينية thapsia garganica من الفصيلة الخيمية umbelliferae، وبالفرنسية faux turbith, faux fenouil وبالانكليزية smouth

شبكة الألوكة
www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

tapsia , drias plant وهو نبات طبي لفظه مشتق من جزيرة تافسوس Thapsus وهي قريبة من ساحل تونس الشرقي ، أي قريبة من قرطاجة قديماً ، وكانت تابعة للفينيقيين (في الجغرافية القديمة)

(٣) حنظل هو باللاتينية citrullus colocynthis

من الفصيلة القرعية cicurbitaceae

وبالفرنسية coloquinte

وبالانكليزية colocynth

وقد ورد في اللغة الحمظل أحياناً مكان الحنظل ويقال لشجرة الحنظل الحنتم ولحبّه الهبد والهبيد . ولمرارته يطلق لفظه العربي على كل ماهو شديد المرارة .

(٤) زرِشْك هو باللاتينية berberis vulgaris

من فصيلة البرباريسيات berberidaceae

وهو بالفرنسية vinettier , épine - vinette

وبالانكليزية pipperidge , berberry , barberry

ويقال له أنبرباريس وأثرار .

(٥) الكثيراء هي باللاتينية astragalus

من فصيلة القرنيات leguminosae

وهي بالفرنسية tragacanthe , astragale

وبالانكليزية milk vetch , astragal

ولها أنواع شتى ويقال لبعض هذه الانواع القتاد ولآخر العنزوت والانزروت .

(٦) لحية التيس هو باللاتينية tragopogon pratensis

ومعناها لحية التيس ترجمة عن العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو من الفصيلة المركبة compositae

وهو بالفرنسية Salsifis des prés , barbe de bouc

وبالانكليزية yellow goat's beard

له جذور تطبخ وتؤكل .

(٧) اليتوع يقال في اللاتينية euphorbia

وهو من الفصيلة اليتوعية أو الفربيونية euphorbiaceae

وفي الفرنسيةeuphorbe

وبالانكلزية spurge

وقد تشدد التاء في اللفظ العربي أو تقدم على الياء وتشدد الياء فهو التيوع واليتّوع والتيّوع .

ويقال له فربيون . وهو يطلق على كل نبات له لبن دارّ أي يسيل إذا قطع .

ج ـ الأدوية المركبة

(١) أيارج Hiera

اللفظ من أصل يوناني ومعناه الدواء الالهي وهو معجون مسهل وله أنواع

(٢) ترياق بالانكليزية Theriaca , Theriac و بالفرنسية Thériaque

اللفظ من أصل يوناني مشتق من لفظ Thêrion أي الوحش وهو مركب من مواد كثيرة يبلغ عددها السبعين أحياناً كان يعد شافيا من مختلف أنواع السموم وله أصناف عدة . وقد يوصف به مركبات حديثة بسبب احتوائها على مادة الأفيون فهي مسكنة للآلام .

(٣) جُوارش بلانون وجُوارِشْن بالنون ومعناه باللغة الفارسية هاضم الطعام وأكثر مايقع هذا الاسم على المعاجين المحلاة بالسكر والعسل وله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنواع متعددة .

ويترجم عادة إلى الفرنسية بلفظ électuaire والى الانكليزية بلفظ electuary واشتق اللفظان المتشابهان الانكليزي والفرنسي حوالى عام ١٣٨٠ م من اللفظ اللاتيني electus بمعنى المختار وهذا من اليوناني ekleiktein وهو فعل بمعنى لحس وذلك ترجمة للفظ العربي الفارسي .

د - الأمراض

ورد في المقال لفظ الذبحة وهو بضم الذال وفتح الحاء وعرفّته الكتب الطبية العربية بأنه ورم حاد في العضلات من جانب الحلقوم التي بها يكون البلع . وفرق الأطباء العرب القدماء بين ورم اللوزتين والعضلات المحيطة بها وعضلات الحنجرة فإن كان الورم في العضلات الخارجية فهو الخناق ، وإن كان في العضلات الداخلة فهو الذبحة . وقد يطلق الخناق عليهما جميعاً لاشتراكهما في الأعراض ويقابل اللفظ العربي angine الفرنسية و angina وتذكر كتب اللغة الأجنبية أن هذين اللفظين آتيان من اللاتينية angina من angere أي ضيق الحلقوم وأنها وضعت عام ١٥٣٨ م

ورد في هذا المقال أيضاً لفظ الشَوْصة ومعناه في كتب الطب القديم وَرم في حجاب الاضلاع تحت الحجاب الحاجز يحدث معه وجع لا يقدر العليل معه أن يتحرك ولاينام على شكل من الأشكال ويقابله اليوم في اللغة الفرنسية pleurésie purulente وفي الانكليزية thoracic empyema وربما قوبل أيضاً بلفظ empième الفرنسي و empyema الانكليزي

هذا ، وفيما سبق إنما شرحنا الألفاظ القليلة الاستعمال وضربنا صفحاً عما هو متداول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net